العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٩

القرآن

في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

القرآن في نهج البلاغة

■ النــاشر: العتبــة العلويــة المقدســة

■ إعداد: مكتبـة الروضـة الحيدريـة

■ تنضيد وإخراج : نذير هندي الكـوفي

■ عــدد النــسخ: ١٠٠٠نــسخة

■ الـــسنة : ١٤٣٢هـــ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

انّ الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، تُعدّ الدستور الإلهي لسلوك الإنسان في حياته الدنيوية لتأمين سعادة الدارين، وللوصول إلى الكمال الذي خُلق لأجله، واتماماً للحجة، وهذا ما جرت عليه السنة اللإلهية.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة ... على ذلك نُسلت القرون، ومَضَتِ الدهور، وسَلَفَتِ الآباء، وخَلَفَتِ الأبناء**»[1].

فاستمر الأمر هكذا إلى أن انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انّ دينه خاتم الأديان, وشريعته خاتمة الشرائع، فكان القرآن هو الدستور

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

الإلهي الخالد إلى يوم القيامة، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلى أن بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، ... وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في اممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم...**»[3].

ونحن هنا في هذه الحلقة من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» نسلّط الضوء على ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ممّا يخص القرآن الكريم وما يحتوي من علوم ومعارف، فكان العنوان: «القرآن في نهج البلاغة».

١- الإسراء: ٩.

٢- الإسراء: ٨٢.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

-١-

بدء نزول الوحي

ورد في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام انّه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغدو كل يوم إلى حراء، وينظر إلى آثار رحمة الله، متعمّقاً في ملكوت السماوات والأرض، ويعبد الله حق عبادته، حتى استكمل سنّ الأربعين ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها، فاذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا، ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرائيل مطوّقاً بالنور، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يامحمد: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾[١] [٢].

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«ولقد كان يجاور في كل**

١- العلق: ١-٥.

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٥٧.

سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسـالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نـزل الـوحي عليـه فقلت: يارسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الـشيطان قـد أيـس مـن عبادته، انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، الّا انّك لست بنبي ولكنّك وزير وانّك لعلى خير»[1].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

-٢-

معرفة الله تعالى

انّ الله تعالى تجلّى لعباده في كتابه، فكان القرآن من أهمّ الروافد لمعرفة الخالق بما بيّنه تعالى من آيات وأحكام ووعد ووعيد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فبعث الله محمداً بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقرّوا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوّفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمات**»[١].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «قوله: فتجلّى سبحانه لهم، أي ظهر من غير أن يُرى بالبصر، بل بما نبههم عليه في القرآن من قصص الأولين، وما حلّ بهم من النقمة عند مخالفة الرسل»[٢].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٧.

٢- شرح النهج ٩: ١٠٣.

وقال عليه السلام في مكان آخر وهو يصف القرآن ويحثّ على التمسّك به: «**واستدلّوه على ربكم**»[1] أي استدلّوا بالقرآن على الله تعالى وعلى معرفته ومعرفة صفاته، إذ انّه منبع غني وصحيح لمعرفة الرب لا يتطـرّق إليه الدس والوضع والتحريف.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

-٣-

المعجزة النبويّة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله: **«أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور»**[1].

انّ لكل نبي معجزة تدلّ على صدقه، وتتناسب مع الظرف الذي يعيشه الرسول، كما هو الحال في نبي الله موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

يؤيده رواية ابن السكيت عن أبي الحسن عليه السلام كما في الكافي: قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسى بآلة الطب، وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «انّ الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم، وانّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج إلى الطب، فأتاهم من عند الله

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢.

بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله، وأثبت به الحجة عليهم، وانّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنّه قال: الشعر، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم»[1].

ثم انّ الله تعالى تأكيداً لحجته وتثبيتاً لمعجزته تحدّى المشركين والعرب آنذاك بمعارضة القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[2].

وفي موضع آخر: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[3].

وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[4].

وأما جهة إعجاز القرآن، فقد لخّصها المرحوم الشيخ محمد هادي معرفة كما يلي:

«اختلفت أنظار العلماء في وجه إعجاز القرآن، بين من أنهاه إلى

١- الكافي للكليني ١: ٢٤ ح ٢٠.

٢- البقرة: ٢٣.

٣- يونس: ٣٨.

٤- الإسراء: ٨٨.

عدّة وجوه ومن اقتصر على وجه واحد، ولا يزال البحث مستمراً عن هذا السرّ الذي هو دليل الإسلام:

١ – ذهب أرباب الأدب والبيان إلى أنّها الفصاحة البالغة والبلاغة الفائقة، إن في بديع نظمه أو في عجيب رصفه، الذي لم يسبق له نظير ولن يخلفه بديل...

قد نُضّدت عباراته نضداً مؤتلفاً، ونظّمت فرائده نظماً متلائماً، وُضعت كلّ لفظة منه في موضعها اللائق بها، ورصفت كلّ كلمة منه إلى كلمات تناسبها وتوائمها، وضعاً دقيقاً ورصفاً تامّاً، يجمع بين إناقة التعبير وسلاسة البيان، وجزالة اللفظ وفخامة الكلام، حلواً رشيقاً وعذباً سائغاً، يستلذّه الذّوق ويستطيبه الطبع... ممّا يستشفّ عن إحاطة واسعة ومعرفة كاملة بأوضاع اللّغة ومزايا الألفاظ والكلمات والتعابير... ويقصر دونه طوق البشر المحدود؟

قالوا في دقّة هذا الرصف والنضد: لو انتزعت منه لفظة ثمّ أُدير بها لغة العرب كلّها على أن يوجد لها نظير في موضعها الخاصّ، لم توجد البتة...

٢ – وزادوا: جانب أُسلوبه البديع وسبكه الجديد على العرب، لا هو شعر كشعرهم، ولا هو نثر كنثرهم، ولا فيه تكلّف السجع ولا رطانة أهل الكهانة. فهو في سبكه بديع، لكنّه ليس بغريب: قد جَمَعَ مزايا أنواع الكلام: فيه إناقة الشعر، وطلاقة النثر، وجزالة السجع الرصين، في حلاوة وطلاوة وزهوٍ وجمال: إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه

لطلاوة... وإنّه يعلو وما يُعلى. كلام قاله عظيم العرب وفريدها الوليد...

أو كما قال الراغب: القرآن حاوٍ لمحاسن أنواع الكلام بنظم ليس هو نظم شيء منها.

٣- وتوسّع المُحدَثون في البحث وراء نظامه الصوتي العجيب: أنغام وألحان تبهر العقول وتُذهل النفوس، نظّمت كلماته على أنظمة صوتية دقيقة، ورصفت ألفاظه وعباراته على ترصيفات موسيقيّة رقيقة، متناسبات الأجراس، متناسقات التواقيع، في تقاسيم وتراكيب سهلة سلسة، عذبة سائغة، ذات رنّة وجذبة شعريّة عجيبة، واستهواء سحريّ غريب!

٤- وأضاف المحقّقون جانب اشتماله على معارف سامية وتعاليم راقية تنبئك عن لطيف سرّ الخليقة، وبديع فلسفة الوجود، في جلال وجمال وعظمة وكبرياء، بما يترفّع كثيراً عمّا راجت في تعاليم مصطنعة ذلك العهد، سواءٌ في أوساط أهل الكتاب أم الوثنيّين.

٥- وهكذا تشريعاته جاءت حكيمة ومتينة، متوافقة مع الفطرة ومتوائمة مع العقل السليم... في طهارة وقداسة وسعة وشمول، كانت جامعة كاملة كافلة لإسعاد الحياة في النشأتين.

٦- وكانت براهينه ساطعة ودلائله ناصعة، واضحة ولائحة، قامت على صدق الدعوة وإثبات الرسالة... في بيان رصين ومنطقٍ رزين وفصل خطاب.

٧- واشتمالُه على أنباء غيبيّة، إمّا سالفة كانت محرّفة سقيمة، فجاءت محرّرة سليمة في القرآن الكريم، أو إخبار عمّا يأتي، تحقّق صدقها بعد فترة قصيرة أو طويلة، كانت شاهدة صدق على صدق الرسالة.

٨- إلى جنب إشارات علميّة عابرة، إلى أسرار من هذا الكون الفسيح، وإلماعات خاطفة إلى حقائق من خفايا الوجود، ممّا لا تكاد تبلغه معرفة الإنسان العائش يومذاك.

٩- وأخيراً استقامته في البيان، وسلامته من أيّ تناقض أو اختلاف، في طول نزوله، وكثرة تكراره لسرد حوادث الماضين، كلّ مشتمل على مزيّة ذات حكمة لا توجد في أُختها. وكذا خلوّه عن الأباطيل وعمّا لا طائل تحتها.

تلك روائع آراء نتجتها أنظار الأُدباء، وبدائع أسرار وصلت إليها أفكار العلماء، كانت من وجوه إعجاز القرآن ومزاياه الوسيعة.

١٠- لكن هناك وجه آخر يجعل من الإعجاز أمراً خارجياً عن جوهر القرآن بعيداً عن ذاته، وإنّما هو لعجز أحدثه الله في أنفس العرب والناس جميعاً، ومنعهم دون القيام بمعارضته قهراً عليهم. وهو القول بالصرفة، الذي عليه بعض المتكلّمين الأوائل ومن لفّ لفّهم من الكتّاب الأُدباء»[١].

١- التمهيد للشيخ معرفة ٤: ٣٥-٣٧.

-٤-

أهل البيت عليهم السلام والقرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وهذا القرآن انّما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابد له من ترجمان، وانّما ينطق عنه الرجال»**[١].

وقال عليه السلام أيضاً: **«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه...»** [٢].

يشير عليه السلام إلى لزوم وجود ترجمان للقرآن ويكون بمثابته من القدسية والطهارة، ليفسّر القرآن ويشرحه للناس، ويفتح مغاليقه، ويبيّن أحكامه رغم سلاسة ألفاظه من الجانب اللغوي، وهذا ما تصدّى له رسول الله صلى الله عليه وآله فترة حياته الطاهرة، وبعده تحملت العترة الطاهرة عبء الدفاع عن القرآن وتبيينه وبسطه وشرحه كما هو مفاد حديث الثقلين الثابت المتواتر عند جميع المسلمين، وهو قوله صلى الله عليه وآله بألفاظ مختلفة: **«انّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٨.

بعدي أبداً وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه بطرف خفي وقال: «**فأين تذهبون وانّى تؤفكون... فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن**»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «**واعلموا انّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فانّهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق**»[2].

ثم انّ هناك تلازماً بيّناً بين القرآن والعترة أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن**»[3]، وقال عليه السلام: «**ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر**»[4]، بل أكثر من هذا فانّهم عليهم السلام مستودع كتب الله المنزلة أجمع، فقد قال عليه السلام: «**هم موضع سرّه... كهوف كتبه**»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢.

وتقريراً لهذا التلازم اقتضت حكمة الله تعالى أن يشهد أمير المؤمنين عليه السلام بدء نزول الوحي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غار حرا – كما مرّ – وسيتولّى صاحب العصر والزمان عليه السلام إحياء ما اندرس من معالم القرآن بسبب تباعد الزمان وتغيّر الانسان.

إذ انّ في آخر الزمان ستتغيّر الأمور كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرّف عن مواضعه... فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لانّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه الّا اسمه، ولا يعرفون الّا خطّه وزبره...»**[1].

ولذا لما يأتي ويظهر الإمام المنتظر عليه السلام، فانّه سوف **«يحيي ميت الكتاب والسنة»**[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٨.

-٥-

تبيان لكل شيء

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1] وفيه تبيان كل شيء»[2].

وقال عليه السلام: «وأنزل عليكم الكتاب تبياناً»[3].

وقال عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا انّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[4].

وقال عليه السلام: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه... وتبياناً لا تُهدم أركانه»[5].

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «انّ الله تبارك وتعالى أنزل في

١- الأنعام: ٣٨.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

القرآن تبيان كلّ شيء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، الّا وقد أنزله الله فيه»[1]. وغيرها من الروايات الدالة على هذا الأمر.

وهذه الشمولية هي التي تدعم نظرية تلازم القرآن والعترة إذ ربما يشك في كيفية شمولية القرآن لكل شيء لمحدودية الآيات وعدم ظهورها اللفظي لكثير من الأمور، ولكن انّ للقرآن ظاهراً وباطناً كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وانّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق»**[2].

وفهم باطن القرآن ليس باستطاعة كل أحد. قال الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من أمر يختلف فيه اثنان الّا وله أصل في كتاب الله عزوجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»**[3].

فالعترة هي السبيل الوحيد القادر على تفسير القرآن وتأويله واستنباط الأمور منه، وقد خسرت الامة خسراناً بيّناً بعدم تأهّلها لظهور الإمام الحق عليه السلام.

١- الكافي للكليني ١: ٥٩.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨.

٣- الكافي للكليني ١: ٦٠.

-٦-

وصف القرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... والله سبحانه يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1] وانّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات الا به»[2].

وقال عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعزّ لا تُهزم أعوانه... كتاب الله تُبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»[3].

وقال عليه السلام: «وعليكم بكتاب الله، فانّه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلّق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيُستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع،

١- النساء: ٨٢.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٣.

من قال به صدق، ومن عمل به سبق»[1].

وقال عليه السلام: «**فجاءهم بتصديق الذي بين يديه، والنور المقتدى به، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا انّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»**[2].

وقال عليه السلام: «**انّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا»**[3].

وقال عليه السلام: «**واعلموا انّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يُضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد الّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا انّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فانّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، انّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صُدّق عليه، فانّه ينادي مناد يوم القيامة: ألا انّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشّوا فيه أهواءكم»[1].

وقال عليه السلام: «**وانّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فانّه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره»[2].**

وقال عليه السلام: «فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره، وأكرم به دينه، وقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به»[3].

وقال عليه السلام: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه.

فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه. وبحرٌ لا ينزفه المستنزفون، وعيونٌ لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السّائرون، وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون.

جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

لطرق الصّلحاء، ودواءً ليس بعده داءٌ، ونوراً ليس معه ظلمةٌ، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدًى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّةً لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجنّةً لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»[1].

وقال عليه السلام: «في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٨.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم رقم: ٣٠٤.

-٧-

وجوه الآيات القرآنية

١- الشريعة الإلهية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتاب ربكم مبيّناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله... وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه ومرخّص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه موسّع في أقصاه»[١].

وقال عليه السلام: «وعمّر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم – فيما أنزل من كتابه – دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم – على لسانه – محابّه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره»[٢].

وقال عليه السلام: «انّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا»[1].

وقال عليه السلام: «**فالقرآن آمر زاجر... وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به**»[2].

وكتب عليه السلام لمالك الأشتر: «**أمره بتقوى الله، وايثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها**»[3].

وكتب عليه السلام للحارث الهمداني: «**وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه**»[4].

٢- الناسخ والمنسوخ:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه... وناسخه ومنسوخه**»[5].

قالوا في تعريف النسخ: «هو رفع تشريع سابق كان يقتضي الدوام حسب ظاهره بتشريع لاحق، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إما ذاتاً إذا كان التنافي بينهما بيّناً، أو بدليل خاص من إجماع أو نصّ

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

صريح»[1].

وقال ﵀ أيضاً: «النسخ في حقيقته الأولية – بمعنى نشأة رأي جديد – مستحيل عليه تعالى، إذ هو بذاك المعنى يستدعي تبدّل رأي المشرّع بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق، عثر عليه متأخّراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأول، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره حالياً، ويجوز تبدّل رأيه ثانياً وثالثاً إلى تشريع ثالث ورابع وهكذا ما دام يحتمل خطؤه في كل تشريع.

هذا المعنى انّما يخصّ اولئك المشرّعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور، تلك الاحاطة الشاملة، أما العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيّات في طول الزمان وعرضه على حدّ سواء، فيمتنع عليه خطأ في إصابة الواقع، أو يفوته نقص كان غافلاً عنه ثم وجده، كل ذلك مستحيل بشأنه تعالى.

إذن فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره، أما الواقع فلا نسخ أصلاً، وانّما هو حكم مؤقت وتشريع محدود من أول الأمر، وانّه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه الّا وهو يعلم انّ له أمداً ينتهي إليه، وانّما المصلحة الواقعية اقتضت هذا التشريع المؤقت، وقد شرّعه تعالى وفق تلك المصلحة المحدودة من أوّل الأمر. لكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الأمد وأجّله إلى وقته المحدود، ثم في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس انّ هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل.

١- التمهيد للشيخ محمد هادي معرفة ٢: ٢٦٧.

فالنسخ في حقيقته الدينية ليس سوى تأخير بيان الأمد المضروب من الأول، ولعلّ في تأخير هذا البيان مصلحة للأمة، منها الاختبار بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقاً مثلاً، وغير ذلك من مصالح يراها المولى الحكيم»[1].

وقد قسّم العلماء النسخ إلى ثلاثة أقسام:

١- نسخ التلاوة دون الحكم: وذلك بأن ترفع الآية من القرآن ويبقى حكمها، ومثلوا لذلك بآية الرجم حيث نسخت من القرآن لفظاً وبقي حكمها. وهذا الرأي باطل لأنّه صريح في وقوع التحريف في القرآن.

٢- نسخ التلاوة والحكم: وذلك بأن ترفع الآية من المصحف مع حكمها، ومثلوا لذلك بما ورد عن عائشة في الرضاع. وهو أيضاً باطل لاستلزامه التحريف في القرآن.

٣- نسخ الحكم دون التلاوة: وذلك بأن تبقى الآية في المصحف تتلى، ولكن ينسخ حكمها ولا يجب العمل بموجبها، وهو أمر صحيح وقع في القرآن الكريم في عدة موارد وردت الاشارة إليها في مظانها.

٣- المحكم والمتشابه:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه...**

١- التمهيد للشيخ محمد هادي معرفة ٢: ٢٦٨.

ومحكمه ومتشابهه»[1].

يشير أمير المؤمنين عليه السلام هنا إلى مفردة مهمة من مفردات علوم القرآن، وهي المحكم والمتشابه، وقد نصّ القرآن الكريم على وقوعها في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[2].

وقالوا في تفسير المحكم والمتشابه، انّ المحكم ما انسدّت عليه مسارب الشبهة، مأخوذ من الحَكَم – بفتحتين – بمعنى المنع والسد، فاحكام الكلام إتقانه تعبيراً وإفادة بالمقصود. والمتشابه على نقيض المحكم وهو ما احتمل تسرّب الشبهة فيه، مأخوذ من الشَّبَه بمعنى المشابهة لمشابهة المحتملات فيه، فالمتشابه ما التبس أمره من قول أو فعل له ظاهر مريب، وإن كان يحتمل في واقعه حقاً لامرية فيه، ومن ثمّ فانّ أهل الزيغ يتبعون متشابهات الشريعة لغرض تأويلها إلى حيث مطامعهم الفاسدة[3].

وذلك كما قال عليه السلام لعمّار لما رآه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: **«دعه يا عمّار فانّه لم يأخذ من الدين الّا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

٢- آل عمران: ٧.

٣- راجع التمهيد ٣: ١١.

لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته»[1].

ووجود المتشابهات لا تشكّل خطراً على فهم القرآن والاستفادة منه، إذ أولاً انّ الآيات المتشابهة تُفهم وتُفسّر بالاعتماد على المحكمات، وثانياً لزوم الرجوع إلى العلماء إذ انّ سلاسة ألفاظ القرآن وسهولة معناها اللغوي لا يعني عدم الرجوع إلى العلماء والفقهاء للغور في أعماق الآيات لفهم معناها.

ثم انّ وقوع المتشابه أمر لا محيص عنه بعد ما نزل القرآن بلغة العرب المشتملة على الحقيقة والمجاز وسائر الفنون البلاغية، فالقرآن ليس بمعزل عنها، سيّما وانّ المعاني العظيمة التي يحملها القرآن تضيق عنها الألفاظ مما يسبب الاستفادة من الأدوات البلاغية أو وقوع الغموض في المعنى رغم سلاسة اللفظ ووضوحه.

٤- سائر الموارد:

ثم أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى سائر الوجوه الموجودة في الآيات القرآنية قائلاً: **«كتاب ربكم مبيّناً حلاله وحرامه... ورخصه وعزائمه، وخاصّه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده»**[2].

المراد بالرخص ما يجوز مخالفته وأُذن في تركه في بعض الأحيان لقيام الداعي إلى المخالفة كأكل الميتة في حال الضرورة، كما قال تعالى:

١- نهج البلاغة، قصار الحكم رقم: ٣٩٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْـمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَـحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِـلَّ بِـهِ لِغَـيْرِ اللهِ فَمَـنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1]. والمراد بالعزائم ما يلزم اتيانه.

أما الخاص والعام، فالمراد من العام ما وضع للدلالة على استغراق أجزائه أو جزئياته مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُـوا الزَّكـاةَ﴾[2]، والخاص بخلافه.

أما العبر والأمثال، فالعبر ما فيه الاعتبار كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ وَالأُولى * إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِـمَنْ يَخْشى﴾[3]، أما الأمثال فكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّـةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾[4].

أما المرسل والمحدود، فالمرسل هو المطلق أي اللفظ الدال على شائع في جنسه، مثل قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَـرَةً﴾[5]، والمحدود هو المقيد كقوله تعالى: ﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْـحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها﴾[6].

١- البقرة: ١٧٣.

٢- البقرة: ٤٣.

٣- النازعات: ٢٥-٢٦.

٤- البقرة: ٢٦١.

٥- البقرة: ٦٧.

٦- البقرة: ٧١.

-٨-

التفسير بالرأي

يمثّل لنا أمير المؤمنين عليه السلام طريقة تعامل المؤمن مع القرآن ويقول: **«قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وامامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله»**(١).

ويقول أيضاً: **«ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي»**(٢).

ويقول عليه السلام: **«واتهموا عليه آراءكم، واستغشّوا فيه أهواءكم»**(٣).

وكتب عليه السلام إلى معاوية ينتقده: **«فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن»**(٤).

ففي هذه الكلمات النورانية اشارات في طريقة تعامل المؤمن مع القرآن في فهمه وتفسيره وتبعيته له، من دون أن يحمّل القرآن ما لا يحتمل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

شأن أرباب الهوى.

هذا وقد ورد النهي عن تفسير القرآن بالرأي في كثير من الروايات، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: **«من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه»**[1].

وقالوا في معنى التفسير بالرأي:

١ - أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي أو عقيدة أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروه في هذا السبيل أو تمويهاً على العامة في تحميل مذاهبهم أو عقائدهم تعبيراً على البسطاء الضعفاء، وهذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يهدف إلى تفسير القرآن.

٢ - الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايداً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام ولاسيما كلامه تعالى، فانّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً، منها مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول وغيرها، فاغفال ذلك كلّه، والاعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف والخلف في هذا الباب، ومن استبد برأيه هلك[2].

٣- ويحتمل أن يراد من التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع انّهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك بهم

١- تفسير العياشي ١: ١٧.

٢- راجع التمهيد للشيخ معرفة ٩: ٦٤.

ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بـالعموم أو الاطـلاق الـوارد في الكتاب، ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام كان هـذا من التفسير بالرأي[1].

٤- التفسير بالرأي هو أن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بمـا عنـده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامـه تعـالى بكـلام النـاس، وهذا غير صحيح إذ انّ القرآن كلام موصول بعـضه بـبعض في حـين انّـه مفصول، ينطق بعضه ببعض ويشهد بعـضه علـى بعـض، فـلا يكفـي مـا يتحصّل من آية فيها، فالتفسير بـالرأي المنهـي عنـه أمـر راجـع إلى طريـق الكشف دون المكشوف، فالنهي انّما هو عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره حتى ولو صادف الواقع، إذ على فرض الإصابة يكون الخطأ في الطريق[2].

١- البيان للسيد الخوئي: ٢٦٩.

٢- الميزان للسيد الطباطبائي ٣: ٧٦.

-٩-

العمل بالقرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لما ضربه ابـن ملجـم (لعنـه الله): **«الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»**[١].

وقـال عليه السلام : **«إذا دعـاك القـرآن إلى خلّـة جميلـة فخـذ نفـسك بأمثالها»**[٢].

وقال عليه السلام : **«سلوا الله الإيمان، واعملوا بموجب القرآن»**[٣].

فحثّ عليه السلام على العمل بموجب القرآن، والعمل به يشمل تلاوتـه، والوقوف عند نواهيه، والعمل بأوامره، والاعتبار بعبره وحكمـه، وذلـك انّه علم ومعرفة، وشفاء ودواء، ونور وهدى.

ومن مصاديق العمل بالقرآن العـرض عليـه لمعرفـة الـصواب مـن الخطأ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **«وعلى كتاب الله تُعرض الأعمال»**[٤]

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٨.

٢- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ح ١٩٧٧.

٣- المصدر نفسه: ح١٩٧٩.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٧٤.

وقد قال للمنجم الذي نهاه عن الخروج لحرب الخوارج: «**فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله عزوجل في نيل المحبوب ودفع المكروه**»[1].

ومنها الاحتكام إلى القرآن، قال عليه السلام في عهده للأشتر: «**واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[2]، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرّقة**»[3].

وقال عليه السلام: «**ولما دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله، وقال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته**»[4].

وقال عليه السلام: «**فانّما حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه، فان جرّنا**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٧٨.

٢- النساء: ٥٩.

٣- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٥.

القرآن اليهم اتبعناهم، وإن جرّهم إلينا اتبعونا»[1].

ومنها المحاجة بالقرآن، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن: **«وفلجاً لمن حاج به»**[2].

وقال عليه السلام: **«وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً»**[3]، فالمراد انّ من احتج بمحكمات القرآن وتمسّك بها، وأرجع المتشابهات إلى المحكمات فلج وظفر إذا كان من أهل العلم والبصيرة، والّا سيقع في التيه والضلال بسبب عدم معرفته وعدم قدرته على تمييز المحكم من المتشابه والناسخ من المنسوخ، كما حدث للخوارج، ولذا نهى أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس عن المحاجة بالقرآن لما أرسله يتكلّم مع الخوارج وقال له: **«لا تخاصمهم بالقرآن، فانّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجّهم بالسنة، فانّهم لن يجدوا عنها محيصاً»**[4].

فموقف أمير المؤمنين عليه السلام هذا كان مناورة سياسية لقطع النزاع مع قوم لا يعرفون من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه، وكذلك قطع حجتهم بتذكيرهم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام وانّه سيقاتل الباغين وهو على حق وما شاكل، فيكون ألزم في الحجة.

ومنها التمسّك بالقرآن، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٧.

القرآن: **«وعصمة للمتمسّك»**[1]، وقال عليه السلام: **«واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه»**[2]، وقال عليه السلام: **«فالله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه...»**[3]، وكتب عليه السلام إلى لحارث الهمداني: **«وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه...»**[4].

ومنها تعلّم القرآن، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وتعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فانّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانّه شفاء الصدور»**[5].

وذكر عليه السلام انّ من حق الولد على والده: **«أن يحسن اسمه، ويُحسّن أدبه، ويعلّمه القرآن»**[6].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٩.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم رقم: ٣٨٨.

-١٠-

المؤمنون والقرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كيفية تعامل المؤمن مع القرآن: «**قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله**»[١].

وقال عليه السلام: «**واعلم انّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً**»[٢].

وقال عليه السلام: «**أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه**»[٣].

وقال عليه السلام في وصف المتقين: «**أما الليل فصافّون أقدامهم تالين**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٠.

لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم اليها شوقاً، وظنّوا انّها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا انّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم»[1].

وقال عليه السلام لنوف البكالي: «**يانوف طوبى للزاهدين في الدنيا، أُولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً**»[2].

وقال عليه السلام في وصف أولياء الله تعالى: «**انّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها... بهم عُلم الكتاب وبه عُلموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا**»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم رقم: ٩٩.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم رقم: ٤٢٠.

-١١-

أهل الدنيا والقرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلى الله أشكو من معشر يعيشون جُهّالاً، ويموتون ضُلالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر**»[١].

وقال عليه السلام: «**وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال، ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه**»[٢].

وقال عليه السلام في وصف آخر الزمان: «**وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرّف**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٦.

عن مواضعه»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: **«يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه»**[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٧.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم رقم: ٣٦١.

-١٢-

عدم وجود الاختلاف في القرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**انّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وانّه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه:** ﴿وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[١]»[٢].

وقال عليه السلام: «**وعليكم بكتاب الله، فانّه الحبل المتين... لا يعوجّ فيقام، ولا يزيغ فيستعتب**»[٣].

انّ من الأدلة على اعجاز القرآن، عدم وجود الاختلاف فيه، إذ انّه صنع الهي وليس من صنع البشر الذي يكثر فيه الاختلاف لنقص الإنسان وعدم احاطته بالأمور. طبعاً - كما قلنا - كان لنزول القرآن بلغة العرب دخل في اصطباغ آيات الذكر الحكيم بلون اللغة العربية من حيث استخدام أدوات البلاغة، ممّا أدّى إلى توهّم وجود بعض الاختلاف في القرآن الحكيم.

١- النساء: ٨٢.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

فقد روى الشيخ الصدوق عن أبي معمر السعداني قال: (انّ رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين انّي قد شككت في كتاب الله المنزل، فقال له عليه السلام: «**ثكلتك امك وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟**»قال: لأنّي وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «**انّ كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنّك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عزوجل...**»)[1]. ثم بدأ الإمام عليه السلام بتفسير وتوضيح ما لم يفهمه السائل.

ومن الطريف ما ذكره ابن شهرآشوب في المناقب انّ ابن إسحاق الكندي أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وانّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد: «**أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟**»، فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟

فقال له أبو محمد عليه السلام: «**أتؤدّي إليه ما ألقيه عليك؟**» قال: نعم، قال: «**فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الانسة في ذلك فقل له: قد حَضَرَتني مسألة أسألك عنها، فانّه يستدعي ذلك منك. فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم منه غير المعاني التي قد ظننت انّك ذهبت إليها؟**

١- التوحيد للصدوق: ٢٥٥.

فانّه سيقول لك: انّه من الجائز، لانّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه».

فصار الرجل إلى الكندي، وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له الكندي: أعد عليّ، فأعاد عليه، فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك الّا أخبرتني من أين لك؟ فقال: انّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلّا ما مثلك من اهتدى إلى مثل هذا ولا ممّن بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا الّا من ذلك البيت، ثم انّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه في ذلك[1].

١- المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٥٢٦.

-١٣-

تلاوة القرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «**وتعلّموا القرآن... وأحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص**»[١].

وقال عليه السلام في وصف المتقين: «**أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً...**»[٢].

وقال عليه السلام متشوّقاً إلى قرّاء القرآن من خلّص أصحابه: «**أوه على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه**»[٣].

وقال عليه السلام : «**أحسنوا تلاوة القرآن فانّه أنفع القصص، واستشفوا به فانّه شفاء الصدور**»[٤].

وقال عليه السلام : «**لقاح الإيمان تلاوة القرآن**»[٥].

وقال عليه السلام : «**من أنس بتلاوة القرآن لم توحشه مفارقة**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٤- تصنيف غرر الحكم للآمدي: ح ١٩٩٠.

٥- المصدر نفسه: ح ١٩٩٢.

الاخوان»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾**[2]: **«يرتلون آياته، ويتفهّمون معانيه، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده, ويخشون عذابه، ويتمثّلون قصصه، ويعتبرون أمثاله، ويأتون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ما هو والله بحفظ آياته وسرد حروفه، وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، وانّما هو تدبّر آياته، يقول الله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ﴾[3]»**[4].

* * *

إلى هنا ننهي الكلام عن «القرآن في نهج البلاغة» وسنلتقي إن شاء الله في موضوع آخر من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وآله الميامين.

١- تصنيف غرر الحكم للآمدي ح١٩٩٣.

٢- البقرة: ١٢١.

٣- ص: ٢٩.

٤- تنبيه الخواطر ٢: ٢٣٦.

الفهرس

العنوان	الصفحة
تمهيد	٥
(١) **بدء نزول الوحي**	٧
(٢) **معرفة الله تعالى**	٩
(٣) **المعجزة النبوية**	١١
(٤) **أهل البيت عليهم السلام والقرآن**	١٦
(٥) **تبيان لكل شيء**	١٩
(٦) **وصف القرآن**	٢١
(٧) **وجوه الآيات القرآنية**	٢٥
١- الشريعة الإلهية	٢٥
٢- الناسخ والمنسوخ	٢٦
٣- المحكم والمتشابه	٢٨
٤- سائر الموارد	٣٠
(٨) **التفسير بالرأي**	٣٢
(٩) **العمل بالقرآن**	٣٥
(١٠) **المؤمنون والقرآن**	٣٩
(١١) **أهل الدنيا والقرآن**	٤١
(١٢) **عدم وجود الاختلاف في القرآن**	٤٣
(١٣) **تلاوة القرآن**	٤٦
الفهرس	٤٨